حولية الكوفة

دورية سنوية محكمة، تعنى بالدراسات والبحوث التراثية والمعاصرة المتخصصة بشؤون مدينة الكوفة ومسجدها المعظم
تصدر عن أمانة مسجد الكوفة والمزارات الملحقة به . العدد الثاني . شهر رمضان ١٤٣٣هـ / آب . ٢٠١٢م

٢

مرقد الشهيد مسلم بن عقيل عليه السلام سنة ١٩٣٥م

ديوان الوقف الشيعي
أمانة مسجد الكوفة
والمزارات الملحقة به

المشرف العام
السيد موسى تقي الخلخالي

رئيس التحرير
د. كامل سلمان الجبوري

الكوفة
في كتاب "لسان العرب" لابن منظور

الدّكتور علي عبد الحسين المظفر
كلية الفقه - جامعة الكوفة

تطرق أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم الأنصاري الأفريقي المعروف بابن منظور «٦٣٠- ٧١١هـ» إلى الكوفة وخططها وقبائلها وما قيل من وراء ذلك من خلال كتابه «لسان العرب» وعلى النّحو الآتي:

تسمية الكوفة:

إنّ في أصل التّسميات اختلافاً واضحاً بين اللغويين فبعضهم يرجعها إلى الاشتقاق والآخر إلى الوضع، والكوفة حظيت بكلا الرأيين في أصل تسميتها، وقد دون ابن منظور في كتاب «اللسان» لهذه الآراء وخاصة في مادة «كوف» بقوله: «الكوفة: من كوف الأديم قطعة وكوف الشّيء تجاه، وكوف جمعه، والتّكوف التّجمع»[١] وقيل «كوف القوم: أتوا الكوفة»[٢]، وقد ترتبط الدّلالة في التّسمية مع طبيعة الأرض «الكوفة الرّملة المجتمعة»[٣] وللون هذه الرّملة أثر في انطباق الاسم على المسمى «الكوفة: الرّملة الحمراء وبها سميت الكوفة»[٤] وبهذه الاشتقاقات اللغوية ترتبط التّسمية التّاريخية وأسبابها عند ابن منظور فـ «الكوفة سميت بذلك لأنّ سعداً[٥] لما أراد أن يبني الكوفة أرتادها لهم وقال: تكوفوا في هذا المكان- أي اجتمعوا»[٦] ويدون لرأي تاريخي آخر بقوله: «إنما قال كوفوا هذا الرّمل- أي نحوه وأنزلوه ومنه سميت الكوفة»[٧] ومن النّصيين المتقدمين يظهر أنّ التّسمية التّاريخية لم تتجاوز الدّلالة اللغوية بل استفاد سعد منها في إطلاق الاسم.

واشتهرت الكوفة باسماء اشتركت في بعضها مع «البصرة» فقيل: «العراقان»[٨] وكذلك «البصرتان»[٩] وعرف أهل هذين المصرين باسماء مشتركة فكان يقال: «أهل هذا الغائط- مثل البصرة والكوفة»[١٠].. وانفردت باسماء تخصها فـ (الفورة- تعني- الكوفة»[١١].

الخطط والمواضع:

اتسمت الكوفة بخططها العمرانية الّتي أصبحت نموذجاً للمدن الإسلامية اللاحقة في الهندسة المعمارية للحضارة الإسلامية، وكثرت المواضع ذات الدّلالة التّاريخية من بين الأمصار الإسلامية الأخرى، ولربما تشترك في بعض المصطلحات الجغرافية والإدارية مع الأمصار الإسلامية وخاصة «البصرة»، وقد دون ابن منظور لهذه المصطلحات بتعريفه لها وبيان دلالتها التّاريخية فـ «المصر: في كلام العرب كل كورة تقام فيها الحدود، ويقسم فيها الفيء والصّدقات من غير مؤامرة للخليفة وكان عمر(رضي الله عنه) مصر الأمصار منها البصرة والكوفة»[١٢] ومن هذا النّص يتجلى لنا تأصيل العرب لهذه المصطلحات دون سواها، كما عرف لمصطلح آخر: «الباطنة: من البصرة والكوفة مجتمع الدّور والأسواق في قصبتها»[١٣] فيما انفردت الكوفة ببعض آخر كـ «مخاليف الكوفة»[١٤] وما يعرف بـ «المعان، المياءة والمنازل... ويقال

(١) ابن منظور: اللسان ٩/ ٣١١ الأزهري: تهذيب اللغة ١٠/ ٣٩١.
(٢) م.ن ٩/ ٣١١، الرّازي مختصر الصّحاح ص٥٨٣.
(٣) م.ن ٩/ ٣١١.
(٤) م.ن ٩/ ٣١١، الرّازي: مختصر الصّحاح ص٥٨٣.
(٥) أراد به: سعد بن أبي وقاص الّذي اختط الكوفة (سنة ١٧هـ) وقيل (سنة ١٥هـ) والقول الأوّل هو الرّاجح بعد تحوله من المدائن ابن الأثير- الكامل، التّاريخ ٢/ ٣٦٧.
(٦) ابن منظور: اللسان ٩/٣١١.
(٧) ابن منظور: اللسان ٩/٣١١.
(٨) ابن منظور: اللسان ١٠/٢٤٨، ياقوت الحموي، معجم البلدان ٤/٩٣.
(٩) ابن منظور: اللسان ٤/ ٦٧، ياقوت الحموي، معجم البلدان ٤/٩٣.
(١٠) ابن منظور: اللسان ٥/ ١٠٩.
(١١) ابن منظور: اللسان ٥/ ٦٨.
(١٢) ابن منظور: اللسان ٥/ ١٧٦.
(١٣) ابن منظور: اللسان ٣١/ ٥٥.
(١٤) ابن منظور: اللسان ٩/ ٩٦.

الكوفة معان منا»[1] وعرفت الكوفة بإضافة مصطلح «السّواد»[2] إليها وهذه الإضافة على الاسم ذات دلالة جغرافية طبيعية مكتسبة من عامل الأرض، فيما دون من جهة أخرى لمواضع الكوفة وما حولها وكذا الطّرق المؤدية إليها، فهو يذكر الموضع بقوله الكناسة: موضع بالكوفة[3] وقد يرتبط ويعرف من خلال حدث تاريخي جرى فيه «حروراء: موضع بالكوفة نسب إليه الحرورية من الخوارج لأنّ أوّل اجتماعهم بها وتحكيمهم حين خالفوا عليّاً(ع)»[4] ودون لكثير من المواضع القريبة منها وتعرف بوساطتها مثل «النّجف، والحيرة، والغري»[5] ولبعض آخر تقع على الطّرق المؤدية لها فالمواضع الّتي على طريق مكة وورد لها ذكر في الكتاب: «البسيطة، وتوز، والقعقاع»[6] ومنها على طريق البصرة كـ «اطط وذات فرقتين»[7] والأخرى لطريق الشّام[8]، والرّقة[9] واليمامة[10]، ويعرف الموضع بالقبيلة وينسب لها فـ «السّبيع محلة بالكوفة منسوبة إلى قبيلة وهم بنو السّبيع»[11] أو من ذكره في الشّعر «مسكين: موضع من أرض الكوفة: قال الشّاعر إنّ الرّزية يوم مسكن، والمصيبة والفجيعة»[12] ولأنهار الكوفة ذكر عند ابن منظور كـ «الفرات، والنّيل»[13] ودون لبعض العيون الّتي تحد الكوفة مسجلاً لأهم الحوادث الّتي جرت فيها[14].

القبائل:

تتميز منطقة الكوفة بقبائلها العربية الضّاربة بالقدم السّاكنة فيها سواء كانت قبل تمصيرها أو بعده، وهجرة القبائل العربية لها خاصة بعد اتخاذها مركزاً للخلافة الإسلامية، دون ابن منظور لبعض هذه القبائل الكوفية مبيناً أصولها بقوله: «شعب جيل باليمن وهو ذو شعبيين، نزله حسان بن عمرو الحميري وولده فنسبوا إليه فمن كان منهم بالكوفة يقال لهم الشّعبيون، منهم عامر بن شرحبيل الشّعبي وعداده من همذان»[15] ثمّ بين تفرع هذه القبائل وتوسعها داخل الكوفة فـ «السّبع: بطن من همدان رهط أبي إسحاق السّبيعي»[16]، وللأقوام غير العربية تواجد في الكوفة دون لها من التّعريف باصولها وأماكن نزوحهم ودلالة تسمياتهم بقوله الأحامرة: قوم من العجم نزلوا البصرة ونبكوا بالكوفة، والأحمر الّذي لا سلاح له والعرب تسمي الموالي الحمراء[17].

الأعلام:

ترجم ابن منظور في «اللسان» لكثير من الأعلام الّذين كان لهم دور في حياة الكوفة كاعلام القبائل[18] أو ممن كان له الأثر في الحياة السّياسية كالولاة، والأمراء، أو مكانة اجتماعية[19] وترجم لبعض المحدثين والفقهاء[20] والتّجار[21] وترتكز التّرجمة عند ابن منظور على ذكر اسم المترجم له ونسبته وكنيته[22] أو ما اشتهر به من ألقاب ذاكراً لبعض الحوادث التّاريخية الّتي ترتبط بحياة المترجم له[23].

الأمثال:

دون ابن منظور بعضاً من الأمثال ذات الدّلالة التّاريخية الّتي ارتبطت بالكوفة وعرفت منها، فمرّة يرتبط المثل بالقبيلة كقوله: «حدا حدا ورائك بندقة» مبيناً سبب مقولة المثل ذاكراً للأداء الّتي قيلت فيه بقوله: «قيل هما قبيلتان من اليمن، وقيل هما قبيلتان حدا ابن نمرة بن سعد العشيرة، وهم بالكوفة، وبندقة بن مظة، وقيل بندقة ابن مطية: وهو سفيان بن سلهم بن الحكم بن سعد العشيرة[24] وقد يرتبط المثل بشخص بعينه ويعرف له بقولهم: «أحمق من جهيزه»[25] ويصور المثل بعض أخلاق الأفراد ذات الدّلالة الاجتماعية كقولهم: «جزاه جزاء سنمار»[26] ويرتبط بشخصية لها الأثر في حياة الكوفيين

(١) ابن منظور: اللسان ١٣/ ٤١١، ياقوت الحموي، معجم البلدان ٥/ ١٥٣.
(٢) ابن منظور: اللسان ٣/ ٢٢٥، ياقوت الحموي، معجم البلدان ٢٧٢.
(٣) ابن منظور: اللسان ٦/ ١٩٩، ياقوت الحموي، معجم البلدان ٤/ ٤٨١.
(٤) ابن منظور: اللسان ٤/ ١٨٥، ياقوت الحموي، معجم البلدان ٢/ ٢٢٤٥، الشّهرستاني: الملل والنّحل ١/ ١٢٤.
(٥) ابن منظور: اللسان ٩/ ٣٢٣، ٤/ ٢٢٥، ١٢٢.
(٦) ابن منظور: اللسان ٧/ ٢٦، ٥/ ٣١٥، ٨/ ٢٨٨.
(٧) ابن منظور: اللسان ٧/ ٢٥٧، وعند ياقوت الحموي في معجم البلدان (أطه) ١/ ٤٢٤- ١٠/ ٣٠٧.
(٨) ابن منظور: اللسان ٧/ ١٢٩.
(٩) ابن منظور: اللسان ٨/ ٤١٧.
(١٠) ابن منظور: اللسان ١/ ٢٤١.
(١١) ابن منظور: اللسان ٨/ ١٥٠، ابن دريد: الاشتقاق ص٤٢٧.
(١٢) ابن منظور: اللسان ١٣/ ٥٥.
(١٣) ابن منظور: اللسان ٢/ ٦٦، ١١/ ٦٨٦.
(١٤) ابن منظور: اللسان ١/ ٥٨٥، ٨/ ٤١٧، ١٣/ ٥٤٥ .

(١٥) ابن منظور: اللسان ١/ ٥٠٢، الجوهري: الصّحاح ١/ ٥٦، الهمذاني: الإكليل ٢/ ٢٠٣.
(١٦) ابن منظور: اللسان ٨/ ١٥٠، ابن دريد: الاشتقاق ص٤٢٧.
(١٧) ابن منظور: اللسان ٤/ ٢١٠، ٤/ ٣٨٨، المبرد: الكامل ٢/ ٥٧٩.
(١٨) ابن منظور: اللسان ٨/ ١٠٥.
(١٩) ابن منظور: اللسان ١/ ٧٤٧، ١/ ٦٠٣، ٢/ ٢٤٥، ٣/ ١٣٦.
(٢٠) ابن منظور: اللسان ٢٢/ ٩، ١١/ ٤٨٩- ٤٩٠.
(٢١) ابن منظور: اللسان ٣/ ٢٥٩.
(٢٢) ابن منظور: اللسان ١١/ ٤٨٩- ٤٩٠/ ١٠/ ٤٦٤.
(٢٣) ابن منظور: اللسان ١١/ ٤٠٤.
(٢٤) ابن منظور: اللسان ٥٥/ ١، المغبي: الفاخر ٤٦- ٤٧، مجمع الأمثال ١/ ٢١٠.
(٢٥) ابن منظور: اللسان ٤/ ٣٨٣، الميداني: مجمع الأمثال ١/ ٢٢٨.
(٢٦) ابن منظور: اللسان ٥/ ٣٢٦، البكري: فصل المقال ص٣٨٦.

لقولهم: «صدقني سن بكره: وهذا المثل يروى عن علي بن أبي طالب(عليه السلام) إنّه تكلم به في الكوفة»[1]، وللأرض أثر في أمثال أهل الكوفة لما لها من أثر اقتصادي يرتبطون به وخاصة مما تنتجه له فالنّخلة صارت مضرباً لأمثالهم: «بعلة الورشان تاكل رطب المشان: وهو نوع من الرّطب إلى السّواد دقيق، وهو أعجمي، سماه أهل الكوفة بهذا الاسم لأنّ الفرس لما سمعت بامّ جرذان، وهي نخلة كريمة صفراء البسر والتّمر... فلما جاء الفرس قالوا: أين موشان؟ والموش الجرذ، يريدون أين امّ الجرذان، وسميت بذلك لأنّ الجرذان تاكل من رطبها لأنّها تلقطه كثيراً»[2]، ومن أمثالهم في تهذيب الأخلاق للفرد والمجتمع حولهم: «استننت الفصال حتّى القلعة، يضرب مثلاً بالرّجل يدخل نفسه في قوم ليس منهم»[3]، ولولاة الكوفة وتسابقهم على ولايتها أمثال تعكس ذلك[4].

أقوال الصّحابة في الكوفة:

دون ابن منظور في كتابه «اللسان» مجموعة من النّصوص مختلفة الموضوعات لا تجمع تحت عنوان واحد مثلت صور متنوعة جرت وخصت الحياة العامة في الكوفة، فللخلفاء شان مع أهلها فيصف لنا الخليفة الثّاني عمر بن الخطاب(رضي الله عنه) مكانة الكوفة بقوله: «أيت الكوفة فانّها جمجمة العرب- أي ساداتهم لأنّ الجمجمة الرأس وهو أشرف الأعضاء»[5] وفي نص آخر يبين صعوبة مران أهلها بما: «روي عن عمر(رضي الله عنه) أنّه قال أعضل به أهل الكوفة ما يرضونه بامير ولا يرضاهم أمير»[6] ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) شان معها وخاصة بعد أن اتخذها مقراً للخلافة فمرّة يصف أرض الكوفة بقوله وفي حديث علي(عليه السلام) كان يقول: حبذا أرض الكوفة سواء سهلة- أي مستوية[7] ومرّة أخرى يبدي تذمره منهم وتوعده إيّاهم بمن ياتي بعده[8] ولأمراء الكوفة امور مع أهلها دون لبعض منها[9] ولمسجد الكوفة وقدم تاريخه وبعض حوادثه ذكر منها ما دونه لإحدى خطب أمير المؤمنين علي(عليه السلام) بقول وفي حديث علي(عليه السلام)- وذكر مسجد الكوفة في زاويته فار التّنور وفيه هلك يغوث ويعوق وهو الغارق -هو فاعول الفرق- لأنّ في زمان نوح(عليه السلام) -كان منه- أي الفرق[10] ووصف لنا في نص آخر حال المسجد ومنبره: «وفي حديث علي(عليه السلام) انّه خطب النّاس على منبر الكوفة وهو غير مسكوك- أي مسمر بمسامر حديد»[11] ونقل لنا النّصوص الّتي قيلت بالكوفة وأهلها من محدثين وأشخاص لهم دلالاتهم الدّينية والاجتماعية[12] وأشار في أحد النّصوص المدونة إلى جانب من الحياة الاقتصادية[13] وما يزرع[14] وذكر لنا في نص سجن الكوفة وبناه بقوله المخيس: هو سجن الكوفة بناه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام)[15] ودون في مواضع أخرى من الكتاب نصوص تخص الكوفة قبل الإسلام وفي الإسلام[16].

القائمة:

من النّصوص التّاريخية الّتي نقلها ابن منظور في كتابه «لسان العرب» الخاصة بالكوفة وحياتها العامة الّتي تجاوزت (١٥٠نصاً) يظهر لنا أنّ الكتاب لم يكن إلاّ موسوعة للمعارف الإسلامية بما فيها الجانب التّاريخي، فقد أضافت لنا بنقله لهذه النّصوص جانباً مهماً هو العناية بالبعد التّاريخي عند اللغويين من الاستفادة من النّص التّاريخي في الدّلالة اللغوية، وأضافت لنا بعداً آخراً إلى النّص بتفسير مفرداته لغوياً وهذا الجانب تفتقر له كتب التّاريخ العامة كما أكد لنا مدى أهمية الكوفة عند اللغويين لما مثلته من بعد حضاري ممثلة بمدرستها النّحوية واللغوية الّتي لم تتناول نصوصها الواردة في الكتاب لتخصص البحث بالجانب التّاريخي في هذا الكتاب.

* * *

(١) ابن منظور: اللسان ١٣/ ٢٢٨، العسكري: جمهرة الأمثال ٢/ ٢٩.

(٢) ابن منظور: اللسان ١٣/ ٤٠٩.

(٣) ابن منظور: اللسان ١٣/ ٢٢٨، البكري: فصل المقال ص٤٠٢ لابن دريد: الجمهرة ٨٢/٣

(٤) ابن منظور: اللسان ٨/ ١٣٥.

(٥) ابن منظور: اللسان ١٢/ ١١٠.

(٦) ابن منظور: اللسان ١١/ ٤٥٢، وفي رواية أخرى (غلبي أهل الكوفة استعمل عليهم المؤمن فبضعف، واستعمل عليهم القوي فيفجر) اللسان ٩/ ٢٠٤.

(٧) ابن منظور: اللسان ١٤/ ٤١٢.

(٨) ابن منظور: اللسان ١٥/ ١٥٢.

(٩) ابن منظور: اللسان ١٢/ ١٧٢، ١٢/ ٦٤، ٧٤٧.

(١٠) ابن منظور: اللسان ١٠/ ٢٨٤.

(١١) ابن منظور: اللسان ١٠/ ٤٤، ١٠/ ٤٥٣.

(١٢) ابن منظور: اللسان ١/ ١٦٢، ٢/ ١٤٠، ٢/ ١٧٦.

(١٣) ابن منظور: اللسان ١٠/ ٢٨٤.

(١٤) ابن منظور: اللسان ١٠/ ٤٤، ١٠/ ٤٥٣.

(١٥) ابن منظور: اللسان ١/ ١٦٢، ٢/ ١٤٠، ٢/ ١٧٦.

(١٦) ابن منظور: اللسان ١/ ٣١٧، ٦٧٧، ١/ ٧٤٧، ٢/ ٣١٧، ٢/ ٢٤٥.

المصادر:

* ابن الأثير: عز الدّين أبو الحسن علي بن محمّد الشّيباني (ت: ٦٣٠هـ) الكامل في التّاريخ، صحح أصوله عبد الوهاب النّجا، مصر ١٣٤٨هـ
* الأزهري: أبو منصور محمّد بن أحمد الأزهري الهردي (ت: ٣٧٠هـ) تهذيب اللغة، تحقيق: أحمد بن عبد الحليم البيردوني، الدّار المصرية للتاليف.
* البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي (ت: ٤٨٧هـ) فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، حققه وقدم له، د. إحسان عبّاس، ود. عبد الحميد عابدين، دار الأمانة- بيروت- ١٣٩١هـ- ١٩٧١م.
* الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (ت: ٣٩٨هـ) الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تح أحمد عبد الغفور عطار ومطبعة دار الكتاب مصر- بلا. ت.
* ابن دريد: أبو بكر محمّد بن الحسن بن دريد (٢٢٣-٣٢١هـ) جمهرة اللغة، ط١، دائرة المعارف حيدر آباد الدّكن، الهند، سنة ١٣٤٤هـ
* الرّازي: محمّد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي (ت: ٦٦٦هـ) مختار الصّحاح، دار الكتب العربية- بيروت- لبنان. بلا. ت.
* الشّهرستاني: أبو الفتح محمّد بن أبي القاسم عبد الكريم الشّهرستاني (ت: ٤٧٩هـ) الملل والنّحل، بهامش الفصل في الملل والنّحل لابن حزم، ص وذيله عبد الحميد خليفة مطبعة محمّد علي صبيح وأولاده- مصر، ١٣٤٧هـ
* الضّبي: أبو طالب محمّد بن سلمة بن عاصم (ت: ٢٩١هـ) الفاخر: تح عبد العليم الطّحاوي، مراجعة محمّد علي النّجار، ط١: عيسى البالي الحلبي وشركاه، دار الكتب العربية، ١٣٨١هـ- ١٩٦٠م.
* العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله سهل (ت بعد: ٣٩٥هـ) جمهرة الأمثال: تح محمّد أبو الفضل إبراهيم، وعبد الحميد قطامش، ط١، مطبعة المؤسسة العربية- القاهرة، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.
* المظفر: علي عبد الحسين المظفر الرّوايات التّاريخية في لسان العرب- لابن منظور، رسالة دكتوراه مطبوعة على آلة الطّابعة، ١٩٩٩م.
* ابن منظور: أبو الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرم (ت: ٧١١هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان- ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.
* الميداني: أبو الفضل أحمد بن محمّد النّيسابوري (ت: ٥١٨هـ) مجمع الأمثال، مصر، ١٣٥٢هـ
* ياقوت الحموي: شهاب الدّين أبو عبد الله الرّومي البغدادي (ت: ١٢٦هـ).
* معجم البلدان، دار صادر، بيروت، لبنان، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٨م.

* * *